

سقوط مشروع التجهيل



الطائفية خربت العراق

منها كبل الاتهامات الباطلة والعزل والحرمان والتجويب والتغيب القسري والاعتقال والتعذيب والإغتيال. لكن نشاطات مناهضة مشروع التجهيل استمرت ولم تتوقف، بل تصاعدت في الحجم والحيوية والتأثير وكانت ذروة فعلها، انتفاضة العراقيين الراهنة، هذه الانتفاضة التي قادها وقدم أعظم التضحيات فيها، جيل الشباب الذي استهدفه مشروع التجهيل، وكانت انطلاقا هذه الانتفاضة إعلانا عن سقوط مشروع التجهيل، مهما كانت مآلات هذه الانتفاضة، فقد أنهت الوجود الفعلي للسلطتين السياسية والدينية الطائفية بكل امتداداتهما وتمنخلتهما في الأشخاص والمؤسسات والإجراءات، حتى لو استمر حضوره، فهو ليس أكثر من حضور شكلي، معزول ومدان، وهو أقرب إلى الذين يتنفسون اصطناعيا، فهم موتى، لم يعلن عن موتهم بعد.

هو أكثر وثنية وانحطاطا وإساءة لكرامة الإنسان، من طقوس الوثنيين، وكانت هي الأخرى تستقبل بالرضا والتشجيع. كما شهد التعليم منذ سنة 2003 وفي جميع مراحلها، تخريبا منظما وتحول في أحيان كثيرة إلى تجهيل ولم يعد تعليمًا، كما اختزلت فرص العمل، جميع فرص العمل، حتى لا يجد الشاب سوى فرصة الانخراط في الميليشيات المرتبطة بإيران، وهذا ما استمعا إليه من شباب عاطلين عبر شاشات التلفزيون وفي مدن مثل بغداد والبصرة والتنجف وكربلاء والناصرية وغيرها. غير أن وعي قطاع واسع من الشباب العراقي، كشف أهداف مشروع التجهيل من خلال جهد فكري وعلمي، ولم يتوقف هذا الجهد منذ الاحتلال حتى يومنا هذا، وقد جابهته السلطة من واجهتها السياسية والدينية الطائفية بممارسات عدوانية شرسة،

النقد التاريخي والعقلي، ومعظم هذه الروايات تنتسب إلى الحكاية الساذجة أكثر من انتسابها إلى الرواية بشروطها المعروفة، وهذه الحكايات تهدف إلى الاستهانة بالعقل، وتكرس انفصاله عن الحقيقة، كما تهدف إلى إثارة خلافات وانشقاقات ليست بين الأديان أو الطوائف، بل وأيضا داخل الطائفة الواحدة والأسرة الواحدة. وقد تفاقمت هذه الممارسة وتفاقمت نتائجها، سلبا وإيجابا، لكنها ظلت تستقبل من قبل السلطتين السياسية والدينية الطائفية بالتغاضي، فلم تناقش هذه الحكايات ولم تحدد أي اشتراطات ومقومات لمطابقتها، حتى ليذهب بكثيرين الظن كونها مصممة على صعيد الأهداف. واقترن هذا التوجه التجهيلي، بما يؤكد على صعيد الممارسات الطوقسية، إذ ظهرت ممارسات في بعض المناسبات ذات طابع ديني، يعف اللسان عن وصفها، ومنها ما

عن الفساد هم من كبار الفاسدين أو المستفيدين من هذا الفساد المالي والاجتماعي والإداري ومن المستثمرين فيه، وقد يكون أحدهم لا يمارس الفساد والاقارب والأعوان والوكلاء، وممارسة الفساد وإدانته في الوقت ذاته، يشترك فيها المسؤولون الحكوميون والقادة الحزبيين والكثير من رجال الدين والمستثمرون في النشاط الإعلامي والتعلمي والبرلمانيون، وهم في هذه الممارسة، أي إدانة الفساد والحديث عنه، هم من أعتى رموزه ما يجعلهم في موضع الاستنكار والسخرية من قبل المواطنين ويواجهون بالإدانة العلنية في القول والكتابة. إن جملة الانحرافات التي تغمر العراق على جميع الصعد، هي بعض مخرجات الاحتلال، وما أكثرها، حيث تجد من يوظفها لمصالحه داخليا وإقليميا، فنظام الملاي الفاسد في إيران وبجميع انحرافاته، أفاد من هذه الانحرافات وعمل، وما زال، على أن يجعل من العراق تابعا ذليلا لمصالحه وسياساته ومشروعه التوسعي ومقولاته التخريبية. إن مشروع التجهيل الذي عملت على تكريسه وتحقيق أهدافه وتنشيط أدواته في التخريب الاجتماعي والثقافي، قوى جاء بها الاحتلال، وهي بهذا الشكل أو ذاك من أدوات نظام الملاي ومخططة التخريب في العراق، يستهدف الأجيال الشابة التي نشأت في ظل نظام فاسد وجهول، لتكون هذه الأجيال بعيدة عن ثقافتها الوطنية وتوجهاتها التحريرية التنويرية وعن قضائها القومي والتزاماتها الدينية الرصينة، لذا فقد واصل معتمرون فاسدون وجهلاء وهم من الكثرة مما يلفت النظر، نشاطهم التخريبي ليس من خلال المنابر والمساجد فحسب، بل من خلال شاشات التلفزيون وأثير الإذاعات، بنشر روايات تحاكي الحد الأدنى من العقل والمنطق ولا تتوفر على أي شرط من شروط الرواية التاريخية أو الدينية، بل تناقض معظم هذه الشروط، ومنها شرط

أهدافها وتدافع عنها، وتعمل بعض المؤسسات غير الحكومية التي تنشط تحت عناوين عامة، مثل النقابة أو الاتحاد أو الجمعية، على غسل جرائم وانحرافات سلطتي التجهيل، وبخاصة في المحافل الخارجية، ولقد استمعت في ندوة تلفزيونية تناولت الممارسات الدموية التي أقدمت عليها الميليشيات ضد المتظاهرين السلميين، إلى نقيب الصحافيين وهو يدافع عما اقترف من جرائم القتل، أكثر مما دافع عنها ممثل وزارة الداخلية، وأعطى من الوعود بالكف عنها أكثر مما أعطى رئيس الوزراء. وللسلطة الثانية، السلطة الدينية الطائفية، أدواتها متمثلة في المنابر والطقوس، وإن صارت تمتلك وتدير من المؤسسات الإعلامية والتعليمية ما يوازي أو يفوق ما تمتلكه السلطة الأولى، وحين نرصد الواقع في عراق الاحتلال الأميركي والسيطرة الإيرانية، نجد أن الفروق بين السلطتين المذكورتين هامشية جدا، إن لم أقل إنهما سلطة واحدة بعنواين مختلفين. وكل منهما يناديها الخاصة تغطي الثانية وتعمل على توسيع انحرافاتهما وجرائمهما. بل إن أدوات قمعهما مشتركة، فحين تتعرض أي سلطة من السلطتين، للثقل الجاد والكاشف للرفض الفكري أو العملي، تتحرك أدوات القمع لإسكات المعارضين والداعين إلى التغيير، بأعلى طاقاتها وأكثر أدواتها عنفا ودموية، كما أن الفساد، سواء على صعيد السلوك الاجتماعي أم الإداري والمالي مشترك هو الآخر بينهما، وبعبارات موهمة تصدر عن بعض رموزهما. وصل الفساد في العراق وبكل ممارساته حذًا جعل منه بلدا من أكثر البلدان فسادا في العالم، ولم يعرف العراقيون والمؤرخون حالة فساد شامل كما هي عليه في العراق الآن، في أي زمان وفي أي مكان، وتصدر الاعترافات التي وصفها بالتصوير، سواء من بعض ممثلي السلطة السياسية أم من ممثلي السلطة الدينية الطائفية، مع أن من يتحدثون



اقتربت السلطة ذات الطابع السياسي في العراق، منذ الاحتلال الأميركي الذي انتهى إلى سيطرة إيرانية، بجميع رموز هذه السلطة ومتغيراتها، على صعيد التحالفات والأشخاص والعناوين، إذ لم تتجاوز المتغيرات ما ذكرته، أي التحالفات والأشخاص والعناوين؛ أقول اقتربت هذه السلطة، بسلطة أخرى ذات طابع ديني طائفي، وهذه السلطة تدعم السلطة السياسية، وقد تقودها وتوجهها وتعمل على تغطيتها في أوقات تقترب فيها من الانهيار.

مهما كانت مآلات الانتفاضة في العراق، فقد أنهت الوجود الفعلي للسلطتين السياسية والدينية الطائفية بكل امتداداتهما وتمنخلتهما في الأشخاص والمؤسسات والإجراءات

فهما سلطة واحدة بعنواين، وما يجمع بين عنواين هذه السلطة؛ السياسي والديني الطائفي، هو مشروع التجهيل، وإن كانت لكل منهما أدواته لتنفيذ هذا المشروع، فلأول مؤسسته الرسمية في الإعلام والتعليم والثقافة أيضا، وقد يسأل سائل، كيف تجمع بين التجهيل والثقافة، فأقول إن المؤسسات الثقافية، الحكومية منها وغير الحكومية، تعمل منذ الاحتلال الأميركي وبخاصة بعد السيطرة الإيرانية في أطروحاتها وبرامجها ونشاطاتها لخدمة مشروع التجهيل، وتحالف معها السلطة الدينية الطائفية وتبني

تظاهرات عراقية عامة لها مطالب جذرية

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبالي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

وفجودهم بسبب التصعيد وعدم الأمان في المنطقة". إن مسجدي يتصرف وكأنه الحاكم بأمرة في بلاد الرافدين.. هكذا نصبت أحزاب ولاية الفقيه سفير طهران مسؤولا لوحد إدارة شؤون العراق، وما يعمل عليه مستوطنو الخضراء، بتحكيم الجمهورية الإسلامية من 3 من أولها وينص على ما يلي "لا يجوز التذرع بأي اعتبار، أيا كانت طبيعته، لتسوية اللجوء إلى التهديد باستعمال القوة أو إلى استعمالها خرقا للميثاق".

لم يكن هدف هذه الثورة الشبانية، التي راح ضحيتها الآلاف من المتظاهرين قتلى وجرحى، التصدي للفساد والفاستين فقط، فالنار للكرامة الوطنية، التي استباحتها إيران هدف وقف في المقدمة

تنتهك تصريحات مسجدي جوهر عمله بصفته سفيرا مهمته الأولى تحسين العلاقات بين بلده والبلد المعتمد لديه، فهي تخالف الطبيعة الأساس لعمله الدبلوماسي، الذي يقوم على استخدام أسلوب عالي التهذيب واللباقة وخال من أي حدة أو توتر أو انفعال قد يزعج حكومة البلد المعتمد لديه وأهله مما يفشل مهمته عاجلا وليس آجلا. إن تصريحات مسجدي المستهتره أكدت بما لا لبس فيه تبعية الحكومة العراقية لإيران، وعدم الوقوف في وجهها، كما وقفت الحكومة العراقية في ثمانينات القرن الماضي وحاربت إيران وكسرتها بعد ثماني سنوات من حرب ضروس. لكن المتظاهرين العراقيين سيقون ملتزمين بسلامتهم في هذا الشهر برغم علمهم أن هذه السلمية لن تمنع حكومة بغداد من الرد عليهم بالسلاح، حتى الثقيل منه.

فوجودهم بسبب التصعيد وعدم الأمان في المنطقة". إن مسجدي يتصرف وكأنه الحاكم بأمرة في بلاد الرافدين.. هكذا نصبت أحزاب ولاية الفقيه سفير طهران مسؤولا لوحد إدارة شؤون العراق، وما يعمل عليه مستوطنو الخضراء، بتحكيم الجمهورية الإسلامية من 3 من أولها وينص على ما يلي "لا يجوز التذرع بأي اعتبار، أيا كانت طبيعته، لتسوية اللجوء إلى التهديد باستعمال القوة أو إلى استعمالها خرقا للميثاق".

لم يمر العراق طوال تاريخه الحديث بظرف تحكمت فيه إيران بشؤونها، كما حدث ويحدث في السنوات الست عشرة الماضية، ففي أضعف حالاتها، كانت الحكومات العراقية السابقة تنتفض للكرامة الوطنية في وجه إيران وسواها. والواقع، وكما يقول الدبلوماسيون، إن ما أطلقه سفير إيران في العراق الضابط في الحرس الثوري إيرج مسجدي من تهديد للعراق بتهنئة انتهاكا صارخا القانون الدولي فضلا عن واجباته ومهامه بصفته سفيرا لبلده معتمدا في دولة أخرى، وبهذا فإن تهديد مسجدي بالإعتداء على حرمة الأراضي العراقية بتهنئة إحدى القواعد الأمرة في القانون الدولي (Jus Cogens) التي قبلها المجتمع الدولي وتمثل هذه القاعدة في مبدأ امتناع الدول عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها في العلاقات الدولية، أي ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأي دولة، وهو ما نصت عليه الفقرة 4 من المادة 2 من الفصل الأول من ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وأعيد تأكيدها في العديد من الصكوك القانونية الدولية،

حرة"، بمعنى يا إيران اتركي العراق واخرجي فيغد سبتين حرة، وسيبقى هذه التظاهرات إضراب عام للهيئات التعليمية والتدرسية والطلبة، فالعراقيون يذكرون بسخط تصريحات السفير الإيراني في بغداد إيرج مسجدي في مقابلة مع قناة "نجلة" العراقية، البعيدة عن أي لباقة دبلوماسية، والتي هد فيها بأن "إيران وفي حال تعرضها لاعتداء عسكري من الولايات المتحدة، سترد بقوة وستقصف التواجد الأميركي في العراق أو أي مكان آخر"، مشددا على ضرورة إخراج القوات الأميركية من العراق ومن جميع دول المنطقة. وقوله إن "الأميركيين يتدخلون في شؤون المنطقة وفي شؤون العراق، وعلى الأميركيين أن يتوقعوا الرد إذا تسببوا بأي مشكلة لإيران"، مبينا أن "إخراج الأميركيين من العراق أو من أي نقطة أخرى بالمنطقة أمر ضروري،

اتخذته رئاسة مجلس الوزراء باستدعاء شيوخ عشائر من الفرات الأوسط والجنوب ومنح كل واحد منهم خمسة ملايين دينار عراقي (نحو 4200 دولار أميركي)، مقابل منع أبناء عشائهم من المشاركة في التظاهرات العامة في 25 من الشهر الحالي، لا يبدو مجديا أبدا، فالشباب من الجيل الجديد كفر بالزعامات الدينية والعشائرية، التي أصبحت ضد طموحاته وتطلعاته في وطن سيد مستقل لا يخضع لإرادات أجنبية. لذلك لم يكن هدف هذه الثورة الشبانية، التي راح ضحيتها الآلاف من المتظاهرين قتلى وجرحى، التصدي للفساد والفاستين فقط، فالنار للكرامة الوطنية، التي استباحتها إيران هدف وقف في المقدمة. إن الهتاف المركزي، الذي استصاح بها تظاهرات الجمعة، الـ 25 من هذا الشهر "إيران بره بره بغداد تبقي



كان الحدث العراقي في الأول من أكتوبر الحالي ثورة، لأن الثورة تعني التغيير، وقد غير ذلك الحدث، الذي قادته جيل ما بعد الاحتلال، الكثير في بنية المجتمع العراقي، وأول تغيير وأخطره كان سقوط وهم القداسة عن رجال الدين، خصوصا الشيعة، وافتضحت أعيابهم، وعلى وجه التحديد، السيستاني ومقتدى الصدر ثم الخميني والخامني، الذين تجرأت الجماهير الشيعية، لأول مرة، على ضرب صورهم بالتعال وإحراقها على رؤوس الإشهاد.



انتفاضة ضد الوصاية الإيرانية على العراق